العدد (1202) الاثنين (21) نيسان 2008
NO. (21) Mon . (1202) April

ما الاصل في تسمية اسواق بغداد ومحلاتها ..؟

(طرف بارودة) في الكرخ وحكاية الكلبة السوداء

كان اكثر الاسواق آنذاك يسمى بأسم الصناعة التي يتعاطاها اصحابها او البضائع التي تباع فيها ، وكان أهل بغداد يتجمعون لصلة بعضهم ببعض ولحاجة بعضهم الى بعضهم الآخر ، كما هو الحال في سوق الصفافير ، وسوق الساعجية ، وسوق الأطرقجية لبيع الفرش والحصران ، وسوق الجصاصة بالكرخ لبيع الجص ، وسوق الحيص (جمع حياصة وهي الحزام) الذي كان يقع خلف دلة الكبير ، وسوق الدجاج (سوق الجيج) الواقع في نهاية سوق حنون وسوق الصاغة وسوق الحدادين ، وسوق اليمنجية (صانعي النعالات) الذي كان يسمى باسم مالكه او باسم من شغله او اشهر من كان يشغله ، مثل سوق حنون وسوق دانيال ودكان شناوه ودكان سمعو ، او على علم من الاعلام ، مثل سوق المولة خانه نسبة الى تكية المولوية ، او على مجمع تجاري ، مثل سوق البزازين وسوق العطارين وسوق الأزر وعباءات الكلبدون ..

اما محلات السكن فتسمى المحلة او الطرف او العكد او الدربونة ، فأما ان تكون مجمعاً عشائرياً من خارج بغداد وتجمع بعضهم مع بعض بسبب المعرفة او القرابة مثل محلة العزة ، وبني سعيد ، والبوشبل ، والقراغول ، والمشاهدة ، والفلاحات ، والجنابيين ، او نسبة الى احد شيوخ الصوفية المدفونين في ذلك المكان ، مثل محلة العاقولية ، وباب الشيخ ، وسراج الدين ، والخلاني ، والشيخ جنيد ، والشيخ معروف ، والشيخ بشار، او باسم

اصحاب الارض الاصليين ، مثل محلة الارض روملي (الازرملي) ، والسيد عبد الله ، وهيبت خاتون ، وجديد حسن باشا (نسبة الى حفيد الوالي بيوك سليمان باشا) . او نسبة الى ارخيته في الكرادة .

ومن الطريف الذكر ان احدى محلات الكرخ المشهورة هي محلة (طرف بارودة) وبارودة هذه هي كلبة سوداء اتخذت مقرها في هذه المحلة التي يسكنها كثير من وجهاء الكرخ ، وكانت تعرف كل سكان الطرف رجالاً ونساءاً واطفالاً ، وحين يدخل الطرف اي غريب تبقى ترافقه وهي تنبح وتكاد تعضه او تمزق ملابسه حتى يجتاز الطرف ، اما في الليل فياويل من يقتحم المحلة من الغرباء والاّ فأن دمه يسيل وتمزق ثيابه ، وفي العشرينيات حين ظهرت اشاعة عن وصول الطاعون الى جانب الكرخ قامت سلطات الاحتلال البريطاني بتوزيع مصائد الجرذان ، وحين دخلوا مع المصائد الى طرف بارودة ، قابلتهم (بارودة) بأسوأ معاملة وعضت بعضهم ومزقت ثياب آخرين ، فاضطر احدهم الى سحب مسدسه ...فقتلها !!.

اما التجمعات العرقية ، فقد تجمع العانيون في محلة بني سعيد ، وبالكرخ قرب جامع عطا والدهدوانه ، اما السامرائيون والتكارتة ، فتجمعوا على طول سكة الترامواي الذاهب الى الكاظمية ، اي محلات الست نفيسة وسوق الجديد وخضر الياس ، اما المسيحيون فتجمعوا في عكد النصارى ورأس القرية والعمّار والمربعة ، والأرمن تجمعوا في كمب الباب الشرقي وكمب العمار على نهر دجلة مقابل قهوة الملا حمادي ، والصابئة في الكريمات قرب السفارة البريطانية وعلى شاطئ دجلة للقيام بسهولة بطقوسهم الدينية ، اما الاكراد فتجمعوا في الصدرية وباب الشيخ وبالقرب من مقبرة الغزالي ، والمعدان يتجمعون مع جواميسهم في العوينة ، ثم انتقلوا الى الارض روملي ، وهناك محلة خاصة تسمى محلة المعدان . اما اليهود فلم يسكنوا جانب الكرخ بل تجمعوا في محلات ابو سيفين وابو دودو والتوراة وقمبر علي والقشل وفرج الله وجامع المصلوب وتحت التكية وبعض المحلات الاخرى المتفرقة في الرصافة ، وحاولوا السكن في بغداد الجديدة التي اشتروها ، ولكنهم لم يسكنوها ، لانهم لم يتفاءلوا بها بل اتجهوا الى الباب الشرقي فاشتروا اراضي في البتاويين والاورفه ليه وبستان مامود بستان كبة اي المنطقة المحصورة بين الباب الشرقي وجامع الشهيد في (ساحة الفردوس) وشيدوا بيوتهم العامرة هناك ، وبعد الهجرة انتقل المهاجرون من شمالي العراق (الكلدان) الى هذه البيوت وسكنوا فيها الى الوقت الحاضر ..

متى لبس العراقيون السدارة؟

عندمَا حصل العراق على استقلاله عام ١٩٢١، بدأ رجال الحكم في ذلك الوقت يفكرون في تبديل الفينة والكليتة الاجنبيتين بلباس للرأس "عراقي التصميم" يتخذ شعارا ورمزا للوطنية، وبعد تفكير طويل استقر الرأي على صنع "الفيصلية" التي سميت بعد فترة قصيرة "بالسدارة" والسدارة كلمة ذات أصل لاتيني من أصل سامي وهي تعني لباس الرأس عند الملوك. وعمت السدارة العراق جمعيه في فترة قصيرة لترمز أول الأمر الى الروح الوطنية، ثم لترمز بعد ذلك الى المشتغلين في الحكومة والى المتعلمين بصورة عامة. وكان من يرتدي "السدارة" يطلق عليه "الأفندي" والى عهد قريب جدا فالسدارة لباس الرأس الرسمي لأفراد الجيش والشرطة وشرطة السجون وبعض الدوائر الاخرى. ويميز الفرد العراقي عن غيره من أخوانه العرب بلبس "السدارة" .ان الذين يلبسون السدارة في عهدنا هذا قليلون، ولو عدنا للسدارة لوجدناها تختلف عن السدارة التي يلبسها أفراد الجيش كما تختلف عن السدارات الاخرى التي يرتديها الأهليون فتلك كانت مصنوعة من "اللباد" أي من الصوف الخشن المضغوط. ثم بدأت مصانع ايطاليا وانكلترا تنتج "السدارات" فجاءت عند ذلك جميلة ناعمة الملمس مبطنة بالحرير، وتحمل ماركات مختلفة مثل روبن.وهيون.وفكتور. كما جاءت بألوان مختلفة منها السوداء والقهوائية والزرقاء والرمادية، وآخر ما بقي من ألوان السدارات المستعملة بندرة حتى هذا اليوم هو اللون الأسود فقط. حيث وجد اشخاص امتهنوا "غسيل الغياني والسدارات" كذلك تنظيفها وكيها وهم جماعة من اليهود والأرمن. وكان لليهود سوق في "عكد السعدة" لهذه الغاية يوم كانت الغياني شعارا للرأس. ويطلق على من يقوم بمهمة غسل الغياني تسمية "قالبچي" أخذ كونه يضع الفينة في قالب معدني موجود ضمن آلة خاصة لها ضواغط ويضع تحت القالب موقدا نفطيا يقال له "بريمز" فاذا سخن القالب وضعت عليه الفينة ولبست به تلبيسا ثم ركب عليها وهي في القالب قالب آخر تغطى به، وجاء في بعض ابيات الشاعر الشعبي "عبود الكرخي" في وصف لباس الرأس عند البغاددة قائلا:

بيهم من يلفه "كربيتيه"
باليشماغ والآخر بجزية
وبيهم من يلف عشرين هبريه
لرأسه وبيهم اعكال الوبر أسمر
وخوذة والسدارة وفينة والجرغد
وأبو خيه عكال المرعز الأسود
واللف المكنكر يشبه المكود
عريض اطويل عند التثنية
تكصر

ساحة حافظ القاضي قبل نصف قرن

"ساحة حافظ القاضي" واحدة من ساحات بغداد العريقة والقديمة ، حيث انها تقع وسط شارع الرشيد ، وتكون منفذاً لجسر (الاحرار) المؤدي الى الكرخ ، الذي كان يطلق عليه تسمية (جسر مود) اشارة الى القائد العسكري البريطاني الشهير الجنرال مود ، الذي فتح بغداد ودخل بجيوشه الجرارة بعد هزيمة القوات العثمانية ..الصورة ملتقطة في عام (١٩٥٣م) اي قبل اكثر من نصف قرن مضى ، وتظهر فيها (مظلة) شرطي المرور التي تتوسطها واحدة من النخلتين الصغيرتين اللتين كبرتا اليوم ..

الملاحظ في الشارع الممتد من الساحة باتجاه شارع الجمهورية خلوه من السيارات الا من سيارة واحدة او اثنتين ، وكذلك نظافة الشارع وارصفته حسبما توضحه الصورة .. انها صورة من الماضي القريب لجزء من بغداد العزيزة .

اول الغيث

لو لم تكن بغداد مبنية باللبن

عادل العرداوي

اية خسارة معمارية وآثارية لحقت بمدينة بغداد ، جراء امر الخليفة العباسي الثاني ابي جعفر المنصور بتشييد عاصمة ملكه بغداد سنة ١٤٥للهجرة بمادة (اللبن) المصنوع من الطين المشوي ، او المعروض تحت اشعة الشمس لكي يجف ومن ثم يرصف في جدران واسوار ومرافق وقصور تلك المدينة المدورة التي خطط لها المخططون انذاك لتكون عاصمة الخلافة العربية الاسلامية حتى ينتهي دورها ويضمحل امرها بدخول (هولاكو) وجيشه التتري ليخرب ما بقي من معالمها ولتصيبها النكبة الكبرى ويلحق بها الدمار والحرائق والاضمحلال ..

فكما هو معلوم .. ان مقاومة مادة (اللبن) المشوي بالنار ، تتراجع امام تقادم الزمن والعوامل المناخية من امطار ورياح وعواصف ، وكذلك هشاشة التربة التي تقع عليها اسس المدينة المدورة عند الجانب الشرقي من نهر دجلة وفي مكان قريب من منطقة (العطيفية) البغدادية اليوم ، فضلاً عن ما فعلته الاضطرابات والمحن ، والنكبات والطواعين والفيضانات واعتداءات بعضهم على البناء للافادة من بعض اجزائه في ابنية اخرى .. نعم كل هذه العوامل ضيعت علينا معالم مدينة كبيرة وعاصمة خلافة اسلامية ذات صيت واسع وسمعة باذخة اطبقت الافاق حتى غدت مضرباً للامثال وقالوا فيها اقوالاً خالدة واشعاراً لا تنسى كلها اشادة ، ومديح وثناء لمكانة بغداد وعلو بنيانها وضخامة اسوارها وقصورها والتفنن بتخطيطها وتصميمها وهندستها ..

فلو فطن (المنصور) الى هذه الناحية واستعاض عن استخدام (اللبن) الطيني ، بالصخور مثلاً لكان بعض من معالم بغداد باقياً ، شاخصاً امامنا وامام من يسحره ذكر اسم بغداد وليواليها الملاح التي صدحت بها (شهرزاد) وهي تؤنس ذلك الملك الاسطوري المحب لسفك الدماء (شهريار) .. نعم لبقيت بعض ملامح تلك المدينة الخالدة ، كما بقي بعض من آثار وقلاع وقصور واسوار وابواب .. مدن عربية واسلامية اخرى مجاورة لبغداد جغرافياً من بينها : قاهرة المعز الفاطمي ، وقدس الاقداس العربية الفلسطينية ، وحلب الشهباء ، ودمشق الامويين ، واستانبول الباب العالي ، واصفهان المتحف الصفوي الباذخ ، وبيروت وصنعاء ومدن وحواضر لا نريد ذكرها هنا ..

فجراء اسخدام (اللبن) ضاعت معالم حاضرة عربية واسلامية عريقة مثل (بغداد) بل وغدت كما يقال (عيناً بعد اثر) هذه التداعيات التي اسوقها هنا عن بناء بغداد ، اثارت في النفس شجوناً وشؤوناً وانا اعد بحثا عن (اسوار وابواب بغداد) من المؤمل القاؤه بمدينة دمشق بعد ايام قلائل ..

فلو فطن (المنصور) الى هذه الناحية واستعاض عن استخدام (اللبن) الطيني ، بالصخور مثلاً لكان بعض من معالم بغداد باقياً ، شاخصاً امامنا وامام من يسحره ذكر اسم بغداد وليواليها الملاح التي صدحت بها (شهرزاد)

سور بغداد.. والمدافع العراقية القديمة

كانتْ بغداد محاطة بسور أطلق عليه سور بغداد الكبير، وبعد ان عمّر دهراً طويلاً ، لم يبق منه غير أثر شاخص في الشمال الشرقي من بغداد دلالة على ضخامة ذلك السور ومتانته.وقد شيّده الخليفة العباسي المستظهر وأكمل بناءه الخليفة المسترشد (٥١٢ . ٥٢٩هـ).. وان الأثر الشاخص من سور بغداد هو الباب الوسطاني الذي كان يسمى (باب الظفرية).. وهو مؤلف من برج عالٍ محزوم بنطاق من الكتابة بالخط النسخي وبعض الزخارف منقوشة على الآجر. ويقطعه جزء من الخندق المائي العميق الذي كان محيطاً بالسور، ثم دفن وبقي منه هذا الجزء الذي يمر بباب الظفرية.وكان من المتوقع لهذا البرج العظيم ان يتلاشى مع بقية أجزاء السور فيذهب كما ذهب باب السلطان، وباب البصلية، وباب الطلسم.. لولا ان تداركته مديرية الآثار العامة التي قامت بصيانته وترميمه ثم اتخذت منه متحفاً للأسلحة القديمة.كانت في هذا المتحف نماذج كثيرة من الأسلحة القديمة لعل أبرزها المدفع.. فمنذ ان اخترع الصينيون القدماء البارود كان العمل مستمراً على ايجاد الوسائل والأدوات الفعالة للاستفادة من هذه المادة في الحرب. وكان من الطبيعي ان تكون الأمة العربية هي السباقة الى اكتشاف هذه الوسيلة بسبب مركزها الحضاري الممتاز في التأريخ القديم.وهكذا.. حدثنا التأريخ عن أقدم الاستعمالات للأسلحة النارية.. فقال المستشرق الاسباني (كوندي): ان أهل مراكش استعملوا الأسلحة النارية في محاربتهم لسرقوسة وهجومهم عليها سنة (٥١٢هـ).ونقل ابن خلدون عن أبي يوسف سلطان مراكش عندما فتح حصن سجلماسة سنة (٦٧٢هـ) فقال: (ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعدادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة بالبارود بطبيعة غريبة).والمقصود بهندام النفط هو المدفع وبحصى الحديد (القنبلة) واستمرت المدافع بالتطور بمرور الزمن، وأهم ما مرت به من التطورات مرحلتان.. تدل عليهما النماذج التي كانت موجودة في متحف الباب الوسطاني.. فقد كانت المدافع في أول أمرها تطلق بادخال القنبلة من فوهة المدفع ثم الحاقها بالفتيل حتى اذا حصل الاحتكاك بين النار والبارود انطلقت القذيفة.. ومن هذا الطراز كان يوجد في المتحف مدفع كبير طوله (١٨٢سم) وقطر فوهته (٢٥سم).. وفي المرحلة الثانية توصلوا الى احداث الثقب في مؤخرة المدفع والغرض منه ان يكون طريقاً يوصل بين القنبلة والفتيلة وبذلك استغنى عن وضع الفتيلة من الفوهة.

كان يوجد في المتحف نماذج آثارية من المدافع المتنوعة الأشكال والأحجام والمصادر، ضمنها الفارسي، والتركي، ومنها الغربي.. ويوجد أيضاً مجموعة من المدافع العراقية الصنع.

ان أقدم مدفع عراقي في الباب الوسطاني مصنوع سنة (١٨٠٦م) طوله (١٢٥سم) وقطر فوهته (٢٢سم) وهو محمول على عجلة متينة مغلفة بالحديد، كتب على هذا المدفع بعض الكتابات منها أبيات من الشعر باللغة التركية، واسم صانع هذا المدفع والحاكم الذي صنع له، وفي المؤخرة رسم هلال يحتضن كوكباً ذا ثمانية رؤوس.وأضخم هذه المدافع العراقية هو مدفع (اسطة رجب الراوندوزي) الذي صنعه لحاكم الموصل (محمد باشا العلمدار).. طوله (٣٢٣سم) وقطر فوهته (٤٥سم) ويتميز هذا المدفع بكثرة الكتابات والزخارف عليه، فقريباً من فوهته خطت آيات قرآنية وتحتها ثلاثة أبيات من الشعر يليها اسم صانع المدفع وسنة الصنع وهي (١٢٥٩هـ) وفي مؤخرته ختم باسم السلطان عبدالحميد خان ابن السلطان محمد خان الذي سبك المدفع في عهده.ان مبدع هذا المدفع هو الأسطة رجب الراوندوزي وهو من المتخصصين القديرين في صناعة المدفعية.. وكانت في المتحف مدافع عديدة تحمل اسمه مؤرخة ما بين سنة ١٢٣٤هـ . و١٢٥٩هـ.وان أهم المراكز التي كانت تصنع فيها المدافع في ذلك الوقت هي بغداد، والموصل، وراوندوز،، ويبدو انها كانت تنتج بكثرة. ويدل ان حاكم الموصل (محمد باشا العلمدار) كان يملك وحده نحو ثمانين مدفعاً.. وهذه النماذج كانت موضوعة في متحف الباب الوسطاني في بغداد تعطينا صورة واضحة لمهارة وكفاءة وعظمة الأيدي العراقية التي كانت وفي عهد مظلم كالعهد العثماني.. قادرة على ممارسة أثقل وأدق الصناعات كالمدافع.. ثم جاء بعدهم الاستعمار البريطاني الى العراق وحاولوا فرض القيود على حرية الفكر والابداع والعمل والاختراع ليجعلوا من أهله عاجزين عن عمل أي شيء يحتاجونه في حياتهم.ونتيجة هذا الظلم والتسلط والاضطهاد ثار الشعب العراقي ليحطم القيود والاغلال في ثورته الكبرى المعروفة لينطلق الى الامام في رحاب الحرية والعلم والابداع والاستقلال

من اشهر مرطبات الصيف في بغداد

الناملیت ابو الدعبلة والسيفون والدوندرمة

لم يكن يعرف العراقيون من المرطبات غير " الصودا والناملیت " اللتين كان ينتجهما معمل " عبد علي الهندي في آخر محلة الفحامة بالكرخ جهة الشيخ معروف الكرخي ، وكان الناملیت بلون وطعم ، اما بطعم ولون الازبري (الزبري) واما بطعم ولون البرتقال او ابيض صرف ، وكانت القنينة تغلق فتحتها كوة زجاجية تسمى (دعبلة) وعلى الشارب ان يضغط عليها بأصبعه لتدخل الفوهة ليسهل الشرب، وكثيرا ماكانت القنينة تنكسر وتجرح اليد حين يكثر ضغط الهواء عند دفع الدعبلة ، ولم تكن هذه المرطبات مبردة ، فالثلج كان نادرا ولا يباع الا في شهر رمضان للترويح عن الصائمين. وفي نهاية العشرينيات عندما زاد انتاج الثلج بدأ التبريد بوضع قطع من الثلج في كؤوس الشربت او اللبن او الشنينة وبدا صنع صناديق الثلج الخشبية في بغداد وكذلك انتاج الدوندرمة تبعا لكثرة وجود الثلج ، وقدور الدوندرمة تصنع في بغداد من الفافون ، الكبيرة منها والمتوسطة وتوضع قطع الثلج بين القدر الفافوني وبين جدار البرميل مع اضافة كمية كبيرة من الملح الخشن الى الثلج لزيادة صلابته وتاثيره على سرعة الانجماد ، وتباع بعدئذ بمواعين صغيرة ، وكانت الدوندرمة تعمل من عصير البرتقال او البطيخ او صبغة "الروزبري " او اي صبغة اخرى ، اما الدوندرمة من الحليب ، فكانت صناعتها اشق ، لانها تحتاج الى سحلب وتيهان لاعطائها المطاطية ، لذلك تباع بسعر اعلى ، ومن اشهر صانعي الدوندرمة في الكرخ الحاج (زبالة) ودكانه في محلة الشيخ بشار جوار الحلواني الشهير الحجي جواد الشكرجي ، ثم انتقل اخيرا الى جانب الرصافة بجوار مقهى حسن عجمي ويعرفه اكثر سكان الرصافة وضرب به المثل وقيل (دوندرمة زبالة) ، اما الاخر فأسمه (كوسج) ودكانه بجانب جامع الشواف في اعلى الجسر بالقرب من حمام الجسر الذي اصبح الان ضمن ساحة الشهداء ، وفي اواسط العشرينيات وبعد قصف دمشق بالقنابل سنة ١٩٢٤ جاء الى بغداد صناع المرطبات ومنهم (عبدو الشامي) صانع الدوندرمة (البوضة) الشامية ودكانه في باب الاغا جوار حمام كجو ، وبقى عدة سنين في بغداد ، والاخر هو (الحجي خيرو) وهو حلبي مختص بصنع الشربت ، وكان محله مجاورا لمدرسة شماس ومقهى حسن عجمي ، وهو اول من صنع وباع شربت اللوز في بغداد ، واخيرا افتتح مطعم بجوار سوق الامنة ، وفي اواسط العشرينيات ظهر الى السوق شراب السيفون ، ففي ساحة الشورجة مقابل جامع مرجان فتح اول دكان لبيع الصودا والسيفون مجتمعا ، ومن جملة انواع السيفون الحنجر (الذي يشبه طعم الدارسين) . ثم افتتح محل اخر على ناصية الطريق المؤدي الى مقهى شريف وحداد ..

اما شربت الزبيب ، فأحسنه يباع في نهاية سوق السراي قرب المحاكم ، وكانت ترى اكياس الماعز معلقة من السقوف يقطر منها عصير الزبيب الذي يباع مع المريس والجبن الكردي ، لمن لم يفطر في بيته ، اما دوندرمة ام العودة ، فجاءت متأخرة واول من انزلها الى السوق شركة (لاكي ستيك) وسميت بهذا الاسم ،

اما الدوندرمة التي تصنع بالعلب الفنية المستوردة فقد وصلت في نهاية العشرينيات ، وكانت الكبيرة والصغيرة منها تباع في محلات (اورزدي باك) و (حسو اخوان) وبقية المغازات (المحلات) الاخرى من المشمش والقمر الدين او الاسكنجبيل او عصير القداح او عصير الرمان فكانت تباع بأقداح ، ثم كثر استيراد قناني الشربت من خارج العراق على اختلاف انواعه ومذاقه..

حكاية المريس والجبن الكردي وعصير الزبيب وعلاقته بسوق السراي